اليمن

تقع اليمن في القسم الجنوبي الغربي من جزيرة العرب، تمر بها من الشمال إلى الجنوب سلسلتان جبليتان تحصران بينهما هضبة عريضة وينحدر سطحها نحو البحر بشدة تاركا سهلا ساحلياً ضيقا يقطعه عدد من الوديان المنصبة في البحر، وتسقط على هذه البلاد أمطار في فصل الصيف تأتي بها الرياح الموسمية من شرق افريقية، وقد ساعدت هذه الأمطار على نشوء النهيرات الصغيرة التي يستفاد منها في الزراعة التي ازدهرت في هذه البلاد.

وقد استفاد اليمانيون من موقع بلادهم الجغرافي فاحتكروا نقل البضائع والسلع بين الهند والحبشة ومصر وبلاد الشام والعراق إذ كانت السلع والأطياب تأتي من الهند والحبشة إلى شواطئ جزيرة العرب فينقلها اليمانيون على قوافلهم إلى مصر والشام والعراق كما احتكروا الملاحة في البحر الأحمر وكان اليمانيون فوق ذلك أهم شعوب العالم المنتجة والمصدرة للمر والبخور التي كانت تؤلف مادة ثمينة في تلك الأزمان إذ كانت تقدم إلى الملوك والى الآلهة.

وقد اختلف الإخباريون في أصل تسمية اليمن بهذا الاسم فذكر المسعودي إن اليمن إنما سمي يمنا لأنه عن يمين الكعبة وهو التيمن وسمي الشام شاما لأنه عن شمال الكعبة وسمي الحجاز لأنه حجز بين اليمن والشام وقيل أيضا أن اليمن سمي يمنا ليمنه والشام شاما لشؤمه في حين يرى البعض الآخر إن أصل التسمية جاءت حين تفرقت لغات الناس ببابل فتيامن بعضهم يمين الشمس وهو اليمن ، وقد ورد اسم اليمن في نصوص سبا القديمة باسم يمنات ويمنت وكذلك عرفت بلاد اليمن قديما عند اليونان ببلاد العرب السعيدة (Arabie Felix).

الحياة السياسية في اليمن

من المتعذر في الوقت الحاضر تحديد بداية الحياة المدنية والسياسية في اليمن بدقة وذلك لان نشأت المجتمع المدني ترتبط عادة بحياة التوطن والاستقرار.

حيث أدت التغيرات الناشئة عن تبدل أسلوب كسب المعيشة في صفته الجماعية البدائية إلى صفته الفردية إلى ظهور الملكية الخاصة والتمايز الاجتماعي ونشوء أشكال من السلطة ساعدت على نشأة الدولة في عدد من مناطق الجزيرة كجهاز طبقي لحماية مصالح الأرستقراطية المدنية والدينية والدفاع عن البلاد ضد الغزاة والطامعين وللقيام بالتوسع وتنفيذ بعض المشاريع العمومية الإنتاجية الكبرى وتنظيم الخدمة منها.

ويبدو أن القبيلة كانت هي الوحدة السياسية والاجتماعية التي اضطلعت بواجب تنظيم المجتمع في اليمن في مراحله المبكرة شأنه شأن بقية المجتمعات التي أقامها الحرب قديما إذ أن مفهوم الدولة قد تطور في ظل النظام القبلي عندما أخذت تتحدد مجموعة قبائل في اتحادات يمكن تسميتها بالتحالفات القبلية وذلك لوجود روابط الدم وعلاقات اقتصادية مشتركة فيما بينها).

وشكلت سلطة موسعة تضم أكثر من شيخ وأن أصبحت فيما بعد تخضع الشيخ قوي انتخابية من بين شيوخ القبائل المتحالفة ليدير شؤون الحلف واخذ مفهوم الدولة يتطور فيما بعد. من مفهوم سيادة الأحلاف إلى مفهوم السيادة المشتركة التي جمعت القبائل البدوية والسكان الحضر من قرويين وسكان مدن وبهذا اتسع مفهوم السلطة باتساع دائرة حدودها وازدياد عدد رعاياها وتطور الحياة الاقتصادية فيها.

ويرى هارتمان أن لفظ شعب كان في البداية تنظيم دينية إلى جماعة ارتبط نشاطها بعبادة الله ما وبمعبد هذا الإله، وهكذا أصبح المعبد هو المركز الموجه ر للحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية للشعب والقائم على شؤون المعبد هو الناطق باسم اله الشعب الموجه بمجمل الحياة العامة وبذلك اجتمعت في يده السلطتين الدينية والسياسية ولذلك فان أول لقب حمله للحكام في دولة سبأ هو (معرب) أي المقرب من الإله بمعنى الحاكم الديني أو أمير الكنهوت ، وقد ترتب على هذا الواقع قيام ترابط عضوي بين (الله) و(الحكام) و(الشعب) لان الله ومن هذا التصور قد اختار الحاكم الذي يتمتع بصفة مقدسة لحكم الشعب وتدبير شؤونه ويلاحظ أن هذا الغطاء العقائدي قد جاء توسيع عملية سيطرة زعيم القبيلة القوية على القبيلة الضعيفة وبقية القبائل المتحالفة معها في إطار الشعب وتوجيهها بما يخدم مصلحته ومصلحة القبيلة التي منحت اسمها للشعب الذي تزعمه، لذا كان اسم الشعب في حقيقته هو اسم القبيلة الزعيمة .

إن قيام المعبد بقيادة المجتمع قد جعل من حقه أن تكون لها ملاكه الخاصة ومصالحه المتميزة فضلا عن حقه في فرض الضرائب وبعض الواجبات على الشعب.

وهكذا نشأت في اليمن سلطة إقطاعية تهيمن على الأرض باسم الله والمعبد والملك فكان للمعبد أملاكه وإقطاعياته والتي تعني في الواقع إقطاعيات الملك وأعوانه من سادات القبائل كما أصبح للملك اقطاعيته الخاصة.

إن التطورات الأنفة الذكر أوجدت المناخ الملائم لظهور الدول في اليمن ويبدو أن عدد الدول التي نشأت في اليمن كان أكثر من الدول التي وصلت إلينا

أخبارها عن طرق النقوش لان الدول نشأت في مراكز أو مستوطنات حضرية صغيرة ثم مالت إلى التوسع أو البقاء ضمن حدودها أو اندمجت مع غيرها تبعا للظروف.

لذا فمن المحتمل أنه كان في اليمن العديد من دول المدن في وقت واحد وان بعضها قد زالت أو اندمجت في حين بقيت بعضها واندمجت وتوسعت حتى وصلت أخبارها، وهذا الاحتمال هو الذي يفسر لنا دواعي تباين الآراء والتفسيرات حول تاريخ نشأت بعض دول اليمن وزوا لها مثل معين وقتبان و حضرموت لأنها بدأت صغيرة ثم أندمجت بعد أن تعرضت لظروف معينة.

لقد لوحظ إن كثيرا من المعلومات التي وردت في المصادر القديمة عن اليمن كانت مبسترة ويغلب على بعض جوانبها الطابع الأسطوري أو الخرافي فضلا عن وجود الكثير من التناقضات والخلافات والأخبار والروايات التي تتحدث عنها.

كانت بلاد اليمن قبل قيام الدولة القديمة فيها تعيش في نظام اجتماعي وسياسي يشبه في كثير من النواحي نظام الإقطاع الذي عرفته أوروبا في العصور الوسطي فكانت البلاد تمتاز بكثرة الحصون والمسالح والقصور وكانت القصور تعرف بالمحافد (غمدان – ناعط – صرواح) ويعرف صاحب المحفد أو القصر (بذي) وجعها اذواء فيقال (ذو غمدان، ذو صرواح) واذا انضم تمدد من هذه المحافد على مخلان يتولى الحكم فيه امير يعرف (بقيل) وجمعه؛ اقبال وأشهر مخاليفي اليمن مخلاف صنعاء، شاكر، صنكان، همدان، خولان ، وذكر اليعقوبي أن بها (٨٤) مخلاف.

وقصور اليمن أشبه بالقلعة والحصن ينزله زعيم قومي ويحيط به إتباعه والمخلصون له على نحو ما كان يعيش الأشراف أصحاب الإقطاع في العصور الوسطى الأوروبية.

وكانت هذه المحافد والقصور تنمو وتؤلف مدنا حيث تحول قصر ريدان إلى مدينة ظفار وقصر سلحين إلى مدينة مأرب.

الممالك اليمنية القدية

إن كل ما كتب عن تاريخ اليمن قبل الإسلام يعتمد أساسا على استنطاق الآثار وفك رموز الكتابات القديمة فهو بالدرجة الأولى تاريخ اثري يعتمد على الحفريات ومثل هذا التاريخ يقوم على جمع القرائن المتناثرة وتصنيفها والمقارنة بينها، فهناك الآثار من نقوش أي كتابات قديمة اغلبها حجري وفخار وأدوات حجرية أو معدنية ذات أغراض متباينة وحلي ونقود ومواد أخرى تستعمل في الحياة اليومية وخرائب معابد وقصور وحصون وغيرها ومدافن بما تحويه من بقايا أدمية وغير آدمية ومن هذه الإشارات والأدلة والقرائن المتناثرة يحاول علماء الآثار إعادة تركيب التاريخ القديم واليمن التي عاشت على أرضه أقوام من قبل الميلاد بنحو ألف عام اسسو مدن وممالك واستوطنوها فكانوا نواة ولبنات الحضارة عربية أصيلة نشأت في جنوب جزيرة العرب وكان هؤلاء القوم يتحدثون بلهجات متعددة وكأنهم قبائل مختلفة من أصل واحد، وقد وردت إشارات تدل على أسماء ممالك مختلفة كانت على ظهر هذه الأرض منها سبأ ومعين وقتبان واوسان وحضرموت وحمير ومن هذه الإشارات والأدلة والقرائن المتناثرة يحاول علماء الآثار وعلماء الكتابات القديمة أعادت تركيب التاريخ القديم حتى تتم لهم صور متكاملة أو شبه متكاملة عن كيفية وطبيعة هذه

الممالك العربية القديمة التي نشأت واندثرت قبل الاف السنين ومن أهم هذه الممالك هي:

أولا : الدولة المعينية:

قامت في شمال اليمن ووسطه في الجوف الممتد من نجران إلى حضرموت حكومة ملكية وراثية (عاصمتها القرن) أو القرم أو قرناو وتعد هذه المملكة حسب رأي العلماء أول وأقدم الممالك التي قامت في اليمن وقد بلغتنا أخبارها من الكتابات المدونة بالمسند والكتب الكلاسيكية واليونانية والرومانية ولم يرد لها اسم أو ذري الكتابات والمصادر العربية الإسلامية.

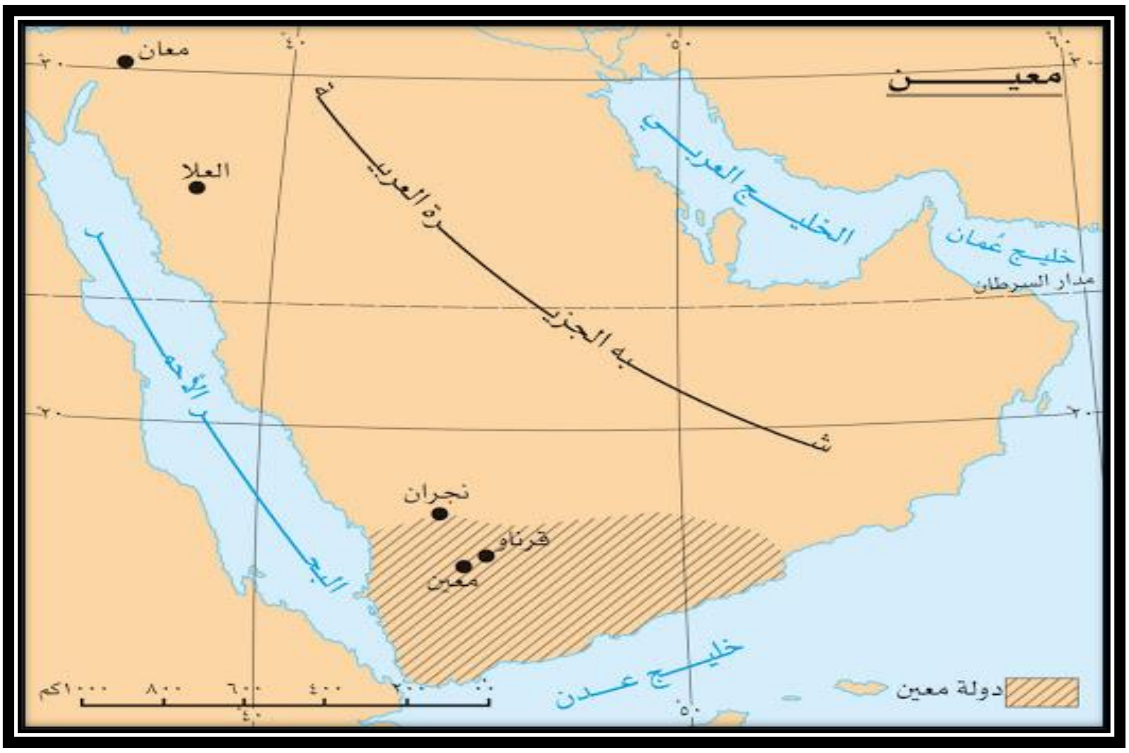

خريطة تبين حدود دولة معين

صورة تبين آثار دولة معين اليمنية

وقد جاء ذكر هذه المملكة في نقوش مملكة بابل بين أخبار نرام سن سنة (٣٧٥٠ ق.م) على نصب عليه نقوش مسمارية جاء فيها إن نرام سن حمل على معان وقهر ملكها معينوم وانه اقتطع حجارة من جبلها حملها إلى مدينة أكاد ونحت حجرا منها جعله نقش على قاعدته خبر هذا الفتح" وقد راي بعض العلماء أن هذه المملكة يعود تاريخ قيامها إلى أكثر من عشرة قرون قبل الميلاد في حين ذهب آخرون انها قامت في حوالي (٨٠٠ ق.م) ، إلى ذلك ذكر البرايت انه يرى قيام مملكة معين كان قبل سنة (٣٥١ ق.م) وقد استمر حكمها إلى ما بعد السنة (٥٠ ق.م) أو السنة (١٠٠ق.م) وذهب آخرون إلى أن نهاية مملكة متين كانت في حوالي السمة المنة بعد الميلاد وهكذا نجد الباحثين في العربيات الجنوبية مختلفين في بداية الدولة و ايتها وإن جل ما تضمنته هذه المصادر التي تتحدث عن هذه المملكة اختص ببلدتي معين وبراقش وهولا يتجاوز التعريف فيها حيث كانت محفدين من محافد اليمن وقصورها أو حصونها القديمة وكانت الظروف الدولية مؤاتية لها أن تظهر كدولة قديمة ففي مصر لم يتمكن ملوك الأسرة الحادية والعشرين الضعفاء ما من التدخل

في شؤون الجزيرة العربية و العراق كان يحكم بابل ملوك ضعفاء و آشور كان الملك تغلات فلأسر منشغلا في حروبه في شمال العراق وقد ساعدت هذه الظروف المعينين على تثبيت ملكهم ومد نفوذهم التجاري في الشرق الأوسط) والجدير بالذكر إن مملكة معين وحضارتها ظلت غير معروفة حتى تمكن العالم جوزيف هاليفي (١٨٧٠م) من الكشف عن آثار معين بعد أن تنقل بين خرابتها من صنعاء إلى الجوف إلى نجران فمأرب وصرواح حاملا إلى بلاده (٦٨٦) نقشا جمعها من (٣٧) مكانا مختلف وبعد أن أتم دراستها بتمعن توصل إلى وجود مملكة عاصمتها قرنا وسبقت مملكة سبأ بعدة عقود، فقد ظهرت مملكة معين في الجوف بين نجران وحضرموت في ارض خصبة منبسطة على ضفة وادي مذاب وقد عمل أفرادها بالزراعة والتجارة وكان نظام الحكم في هذه الدولة ملكية ووراثية من الأب إلى الابن

وقد يشترك الاثنان معا في الحكم كما قد يشترك أكثر من ملك في اسم واحد لكن يتميز بعضهم عن البعض بالألقاب مثل المنقذ أو المخلص والعادل ولقب الملوك في بداية عهد الدولة بلقب (مزواد) ولعل هذا اللقب يتضمن معنى الكهانة فضلا عن الحكومة فيكون المراد بقولهم مزواد معين أي حاكم معين وكاهنها، وقد اتضحمن دراسة المستشرق (موللر) إن نظام الحكم كان ملكيا مقيدا ووراثيا بحيث يرث الابن أباه ويشارك الملك في الحكم مجلس استشاري يتمتع بسلطات واسعة ويبدو أن حكومة معين كانت تتبع النظام اللامركزي في الحكم إذ كانت كل مدينة من مدنها تتمتع باستقلالها الداخلية ولها آلهتها وهيئاتها الدينية وحكومتها التي يرأسها ممثل للملك يحمل لقب (كبر) أي كبير كما كان لها مجالسها المحلية التي تحكم بين الناس وتتألف من أشراف المدينة والمجتمع المعيني مجتمع قائم على نظام الطبقات

والمعينيون قوم متدينون يعيرون للدين أهمية كبيرة وللمرأة مكانة محترمة في المجتمع وتتمتع بحرية واسعة ، وقد لاحظ بعض الباحثين وخاصة ونكلر وهومل ودوفرني إن بعض مظاهر الحضارة المعينية تشبه حضارة البابلين فالاله شماش وعشترون البابلية يشبه اسمها الاله شمس وعشر اليمانية ، كما أن النقوش والأختام المعينية تشبه ما عند العراقيين القدماء والمكارب اليمانين يشبهون الملوك الكهنة السومريين وقد استنتجوا من ذلك إن أصل المعينين من العراق غير أن هذا التشابه الجزئي من مظاهر الحضارة لا يكفي أن يكون دليلا قاطعا على كونهم جاءوا من العراق إذ يجوز أن يكون الجزريون العراقيون قد جاءوا من اليمين أو قد يكون العراقيون واليمانيون قد جاءوا من أصل واحد في محل ما ، أو قد يكون التشابه مظاهر الحضارة نتيجة الاختلاط الذي كان بين البلدين منذ أزمنة سحيقة تمكن المينيون من بسط نفوذهم السياسي على المناطق الواقعة في شمال الحجاز معان وديدان (العلا) ومدين وسيطروا على الطريق التجارية بين الجنوب والشمال إلا إنهم لم يجدوا وسيلة تضمن لهم الأمن والسلام سوى السيطرة على الطريق الوحيدة العروفة في ذلك الوقت وفي إقامة المراكز والمحطات الأهلة ببني قومهم وكانت هذه الطريق والمراكز المقامة عليها موضع نزاع دائم بينهم وبين معاصريهم السبئين بسبب المنافسة في التجارة.

وقد عرفه ألمعينيون النقود وضربوها في بلادهم فقد عثر على قطعة نقد هي (دراخما) إي درهم عليها صورة ملك جالس وقد امسك بيده اليمنى وردة أو طير وامسك بيده اليسرى عصا طويلة وخلفه اسمه وقد طبع بحروف واضحة بالمسند

ويظهر من دراسة هذه القطعة ومن دراسة النقود المتشابه التي عثر عليها إنها تقليد للنقود التي ضربها خلفاء الاسكندر الكبير.

ومن أقدم الأسر التي عثر على اسماء ملوكها اسر (ايل صادق) و(قه ايل) و(صدق ايل) ويلاحظ هنا إضافة اسم (ايل) العربي الى اسمائهم مما يدل على أن الإله العربي وان لفظ الله كان معروف في الجزيرة العربية.

وقد اجمع كل الباحثين على أن الدولة السبأية هي من قضت على نفوذ مملكة معين وأخذت مكانتها وبرزت كدولة لا تقهر ويؤخذ من نقش قرأه غلازر أن السبأين افنوا المعينين يوم كان ملوك السبأين يلقبون مكرب.

ثانيا : ملكة قتبان

تعد مملكة قتبان واحدة من أقدم الممالك العربية التي ظهرت في جنوب الجزيرة العربية وتشير الدراسات الأثرية إن هذه المملكة قد عاصرت كل من الدولة المعينية والدولة السبئية كما تخبرنا الوثائق الكتابية والآثار التي استطاع جملة من العلماء العثور عليها وعلى رأسهم العالم النمساوي غلازر الذي بدء برحلة في عام (١٨٨٢م) ليستكشف تاريخ جنوب الجزيرة العربية وخلال سنوات عديدة قضاها في رحلته استطاع أن يزور اغلب المناطق اليمنية ويحصل على العديد من النقوش والآثار التي ألقت الضوء على أصول هذه المملكة أما عن تاريخ نشوء وقيام هذه الدولة ونهايتها فقد اختلف الباحثون في هذا الموضوع إلى عدت آراء إذ يرى غلازر أنها قامت فيما بين عامي (٢٠٠-٢٤ ق.م) وربما قبل ذلك ، أما فلبي فيذكر إن

أقدم مكارب قتبان يرجع إلى حدود سنة (٥٦٨ ق.م) وان قتبان اندمجت دولة سبا نهائيا في سنة (٥٤٠ ق.م.) في حين أن النقوش التي حصلت عليها بعثة (وندل فيلبس) نؤكد بان المدن القتبانية كانت آهلة بالسكان في الألف الثاني قبل الميلاد أي أنها عاصرت الدولة المعينية والدولة السبأئية إلى ذلك فقد وجد العلماء صعوبة لرسم الحدود الإدارية لهذه المملكة فلم يتمكنوا أن يحددوا بدقة الموضع الذي أقام فيه القتبانيون دولتهم فقد ذهب غلازر إلى انه الموضع الذي سماه بطليموس (ما مالي قوم Mamali kome) وانه يقع على سهل تهامة ولم يبعد سترابون عن هذا عندما قال بأن القتبانيين كانوا يسكنون في الجنوب الغربي من ارض السبأيين أي بين صنعاء وباب المندب ، بينما يحدد هومل موقع الدولة بكونه لا يبعد أكثر من (١١٠ كم) جنوب شرقي مأرب ، في حين ذهب بعض الباحثين إلى أن هذه المملكة تقع شرق عدن وان عاصمتها تمنع وهي مدينة (كحلان اليوم).

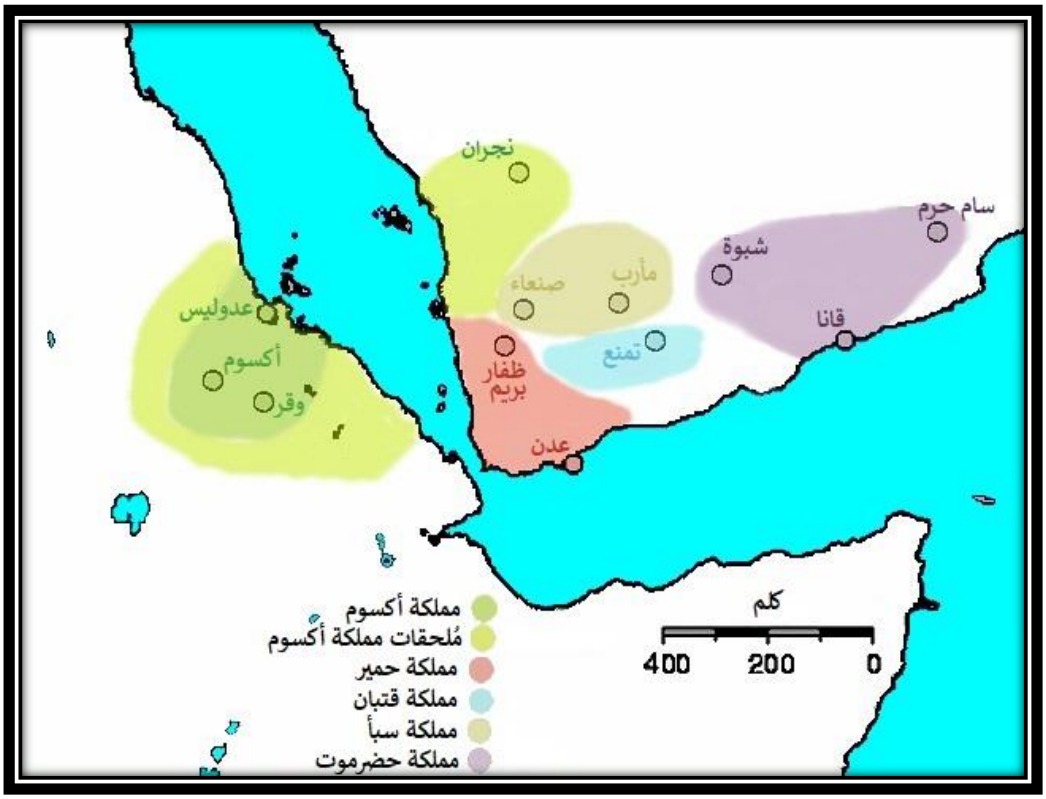

خريطة تبين موقع دولة قتبان والمتمثل بعاصمتها تمنع

صورة تبين آثار تمنع عاصمة دولة قتبان اليمنية

ويمكن تحديد أول إشارة تدل إلى مملكة قتبان في النقش السبئي و الكبير للملك (كرب ايل وتر) الذي يمكن تحديد تاريخه ببداية القرن السابع قبل الميلاد حيث دون هذا الملك السبأي في هذا النقش إحدى انجازاته العسكرية التي يصف فيها صراعه ضد احد أعدائه (مملكة اوسان) إذ عمد إلى تجزأت أراضي العدو المهزوم يعطيها إلى ملك حضرموت والى ملك قتبان حليفيه ، ولم تشر المصادر القديمة إلى أخبار ذات قيمة عن قتبان، وقد شهدت الدولة القتبانية نهاية الدولة العينية وعاصرت دولة سبأ والدولة الحميرية التي اندمجت فيها فيما بعد ولقد أثار بعض الكتاب الكلاسيكيين من أمثال ثيوفراستس وسترابو وبليني وغيرهم إلى

القتبانيين ، أما المصادر العربية فليس فيها شيء يستحق الذكر عن قتبان سوى إنه موضع من نواحي عدن وإنهم من قبائل حمير ، ويبدو أن هذا الخلط بينهم وبين حمير يرجع إلى ضعف قتبان واندماجها بعد فقد استقلالها في حكومة سبأ وهي التي يطلق عليها اسم (حمير).

كان نظام الحكم في قتبان يشبه ما كان سائدا في دولة معين إذ الحكم ينتقل من الآباء إلى الأبناء ويلاحظ أيضا أن الملوكية تنتقل إلى الإخوة مع وجود الأبناء وكان يدير شؤون المملكة حكام نيابة عن الملك ومشايخ يقال للواحد منهم بي (كبير) وتتألف المملكة من حضروهم سكان القرى والمدن وينسبوهم إلى مدنهم ومن (أشعب) أي قبائل ويكون للمجتمع كالمدينة أو القرية أو القبيلة دار ندوة تجتمع فيها للتشاور في تصريف الأمور السلم والحرب يقال لها (مشود) حيث الملوك الذين حكموها فلم يستطع العلماء وضع قائمة كاملة بأسمائهم ولا يزال ثمة ثغرات فيها إنما استنتجوا من النصوص أن حكامها كانوا في أول فترة من حكمهم يحملون لقب (مكرب) التي تعني (مقرب) في لغتنا وهي تعبر عن التقرب إلى الآلهة فهي لقب مقدس ويفيد القيام بوظائف الكهانة أي إن الحاكم هو في الوقت نفسه كاهن وشفيع للناس عند الإلهة مثل هذا اللقب كمثل (مزود) عند المعينين لكن الأمر تطور بعدئذ إذا أضافوا إلى ألقابهم لقب (ملك) وفي فترة تالية نزعوا عند أنفسهم لقب مكرب واكتفوا بلقب (ملك).